العاطفة في الرسائل الشخصية في الأندلس
كتاب الذخيرة لابن بسام أنموذجا

إعداد

د. فيصل زيدان مزيد السلمي
أستاذ مساعد بقسم المواد العامة كلية الآداب والعلوم الإسلامية
جامعة الملك عبد العزيز بجده

المستخلص:
إن العاطفة أحد أركان العمل الأدبي، وتشكل شرارة انطلاقه، وتبرز العاطفة بوضوح حين يكون العمل الأدبي ذاتيا، والرسائل الشخصية أو الإخوانية تتمتع بهذه الذاتية؛ لأنها تنبع من عاطفة الحب أو السخط أو الغضب أو الرغبة، فتتنوع موضوعاتها التي تعبر عنها من صداقة وإخاء أو تربص وعداء أو تهنئة أو تعزية أو شكوى أو دفاع عن النفس أو استفتاح صداقة الخ. ودراسة العاطفة في هذه الرسائل ينقسم قسمين: الأول: مقياس معالجة العاطفة من صدق أو قوة أو تنوع أو ثبات وسمو. الثاني: أثر الكلمات والأسلوب والصور البلاغية والأدبية في التفاعل للتعبير عن عاطفة الأديب. وكلا الأمرين كان محل دراسة في الرسائل الإخوانية في الأندلس. وقد تبين للباحث أن العواطف التي وقفت خلف بعض الرسائل المميزة كانت قوية وصادقة وباعثة على الإبداع وملهمة، كذلك توفرت الأسباب الفنية التي تبرز هذه العواطف في رسائل نثرية غاية في الجودة والإبداع.

الكلمات الإفتتاحية: العاطفة، رسائل، الأندلس.

مقدمة

الحمد الذي خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى، والصلاة والسلام على نبي الهدى، المفلِحُ من به اقتدى، وعلى آله وصحبه، وعلى من سار على دربه واقتفى، أما بعد:

فالنثر قسيم الشعر، وهو منتَجٌ أدبي متعدِّدُ الأنواع، ومتنوع الأساليب، ولعل فنَّ الترسُّل -بأنواعه الرسائل الديوانية والإخوانية أو الشخصية أو الأدبية-من أنواع النثر الذي تظهر فيه براعة الأديب، وقوة الصنعة الفنية في نثره.

والرسالة الأدبية تحمل رسالة وهدفا، وهي مزيج من قدرة العقل على الإقناع، وإيصال الغرض بذكاء مناسب، كما أنها تحمل عاطفة جياشة أحيانا تخاطب وجدان المتلقي، وتستدر تعاطفه وانفعاله بها، وتحتاج إلى ثقافة واسعة تثري الرسالة في موضوعها، وتستعين بالأساليب اللفظية والبلاغية التي تجعلها تصل إلى هدفها المنشود، وأيضا تكسبها ملامحها الأدبية الراقية.

وقد تنوعت أغراض الرسالة الشخصية من ثناء وشكر وعتاب واستعطاف واعتذار وتهنئة وتعزية الخ. "والرسالة الإخوانية بالذات مليئة بالعواطف والمشاعر، وفيها عتاب واعتذار وتَهَانٍ، وغير ذلك من موضوعات الشعر، فهي أوسع مجالا، وأعظم قدرا، وأقرب إلى الإبانة عن فكرة الكاتب وعاطفته ... وهي أقرب إلى الأدب من الرسالة الديوانية؛ لوجود العواطف والتخيلات وفيها مجال لِأَنْ يُظْهر الكاتب قدرته على الصياغة الإنشائية الأدبية"[(١)].

والعاطفة مقوِّم أساسي من مقومات الأدب، وهي مجموعة الأحاسيس والانفعالات والمشاعر التي تسود في العمل الأدبي، أو هي الحالة الوجدانية، ومنها حالات يشترك فيها الناس جميعا، وحالات خاصة. وذكر النقاد مجموعة من المقومات للعاطفة، هي:

صدق العاطفة، وقوة العاطفة، وثبات العاطفة، وتنوع العاطفة وسعتها، وروعة العاطفة، وسمو العاطفة[(٢)].

ويزخر الأدب الأندلسي بكثير من الرسائل الشخصية التي تنوعت موضوعاتها، ودبجتها أقلام كبار الكتاب فيه، وقد وجهت اهتمامي لدراسة العاطفة في هذه الرسائل التي تعد العاطفة باعثا ومقوِّمًا أساسًا من مقوماتها[(٣)]، وذلك تحت عنوان:

(العاطفة في الرسائل الشخصية في الأندلس
كتاب الذخيرة لابن بسام نموذجا)

<u>الدراسات سابقة:</u>

وقد سبق بعض الدارسين لموضوعات مشابهة، ومنها:

دراسات سابقة عن العاطفة في الأدب عموما:

- أثر العاطفة في الاستخدام اللغوي في شعر الشريف الرضي، حكمت إبراهيم عيسى، مجلة جامعة تشرين، مج ٢٩ ع٣، سوريا ٢٠٠٧م.
- العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشعر، د. حسن أبو المجد محمد، مجلة

---

(١) فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد ص ٥١-٥٢ بتصرف، فيصل حسين طحيمر العلي، ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين ٢٠٠١م.

(٢) ينظر التذوق الأدبي ص ١٥٩، د. ماهر شعبان عبد الباري، ط دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٩م.

(٣) أشار د. شوقي ضيف إلى اكتظاظ كتاب الذخيرة بالرسائل الشخصية، ومن ثم انصب الاهتمام عليه. ينظر تاريخ الأدب العربي – الأندلس ص ٤٢٥.

كلية اللغة العربية بجرجا ع٩، جامعة الأزهر، مصر، ٢٠٠٥م.
- الموت بين العاطفة والخيال، ابن الأنباري يرثي ابن بقية، د. سهيل محمد خصاونة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٧٩، جزء ٤.

دراسات سابقة عن النثر الأندلسي:

- أشكال الخطاب النثري الأندلسي حسين علي هنداوي، نشر الكتروني، مكتبة نور، ٢٠١٩.
- الرسائل الديوانية بالأندلس في القرن الخامس الهجري، جميلة مفتاح، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مج٢٢، ع٨٧، الإمارات، ٢٠١٤م.
- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، علي بن محمد، ط أولى درا الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

تمهيد: العاطفة في الأدب.

العاطفة من أهم أركان العمل الأدبي[٤]، فهي باعثة على إنشائه، كما أنها حاكمة ومؤثرة في جودته، بل إنه قد يكون رسالة تحمل عاطفة، وبفضل تأثير العاطفة الجياشة والرسالةِ معانٍ وأسلوبٍ تكون متعة الأدب، وجمال التلقي.

وهي "حالة شعورية تندفع من النفس البشرية إثر انفعالها بحدث تراه أو تسمعه، أو بمشهد يؤثر فيه...وهي في الأدب شديدة الارتباط، فالشاعر لا يصدر شعره إلا بدافع من عاطفته، والأديب لا يكتب من عدمٍ، وآفاق العاطفة في الأدب رحبة، فهناك عاطفة وجدانية، وعاطفة قومية، وعاطفةً وطنية، وعاطفة إنسانية. حتى ما يكتبه الكاتب وينظمه الشاعر من غير دوافع شعورية إنما يكتبه بعاطفة فنية، فلا يستغنى عن العاطفة في الأدب، بل هي أصل الإبداع "[٥].

وفي الصدق العاطفي يجد المتلقي نفسه في أدب الأديب، كأن ما شعر به أحدهما باح به الآخر، كما أن العاطفة القوية تنقل التجربة كأنها موجات عذبة تنساب من جدول إلى آخر.

وهناك عناصر لنقد وتقييم العاطفة الأدبية، وهي:

- صدق العاطفة أو صحتها.
- قوة العاطفة أو روعتها.
- ثبات العاطفة أو استمرارها.
- تنوع العاطفة أو شمولها.
- سمو العاطفة أو درجتها[٦].

إن هذه العناصر تظهر بشكل أو بآخر في أسلوب المبدع وألفاظه وأفكاره ومعانيه وأخيلته وأمثلته التي يضربها.

المبحث الأول: العاطفة وسماتها في الرسائل الشخصية الأندلسية.

"لفظ رسالة في الأدب الأندلسي إنما كان يقصد به الرسالة النثرية الفنية، أي: القطعة النثرية التي يدبجها الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض، ويبعث بها إلى شخص آخر"[٧]. "وللرسالة الفنية بناء خاص، وشكل فنيٌّ معروف، وسمات معينة هي بمثابة الأركان الأساسية التي تبنى عليها الرسالة، والتي لا بدَّ من توافرها، وإيداعها في كل قطعة نثرية تنتمي إلى الأدب الرسائل الفنية، فالرسالة الفنية قطعة نثرية واحدة تتجزأ في ثلاثة أقسام وعناصر مختلفة، هي: البداية أو الصدر، والمتن، ثم النهاية أو الختام. ولكل عنصر من هذه العناصر طابعه الخاص، ففي البداية غالبا ما يخاطب الكاتب فيه من أرسلت إليه الرسالة، وفي المتن يتناول الكاتب الموضوع الذي أنشئت من أجله الرسالة، وفي النهاية يدعو الكاتب بالسلام لمن أرسل إليه الرسالة"[٨].

وتنوعت أغراض الرسالة الشخصية، فهي "رسائل يعبِّر فيها الكاتب عن قضايا خاصة وأمور شخصية بشأن من شؤونه في علاقاته مع الأهل والأصدقاء ممن

---

(٤) يتكون العمل الأدبي من: العاطفة والخيال، والأفكار، والأسلوب، والموسيقى. ينظر أصول النقد الأدبي ص ٣٧.

(٥) المعجم المفصل في الأدب ٢/٦١٢-٦١٣ بتصرف.

(٦) ينظر أصول النقد الأدبي ص ١٩٠، والتذوق الأدبي ص ١٦٠ والنقد الأدبي ص ٦٨ د. داود سلوم.

(٧) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ص ٨٣.

(٨) السابق ص ٨٥.

قرب مكانه أو بَعُدَ مزاره، ويدخل في ذلك التهاني، والعتاب، والاستعطاف، والاعتذار، والتعازي، والثناء، والشكر، وما شابه ذلك من الموضوعات والأغراض"[٩].

إن الرسالة -الشخصية خاصة- تظهر ما لدى الأديب من ثروة لغوية، ورقي وأصالة فكرية، وبراعة في الاستهلال، وقدرة على الاستدلال، وروعة في التصوير، وتنوع وعذوبة ورصانة الأسلوب، وقدرة على اختيار الكلمات والجمل التي تعبر عن أفكاره ومشاعره، إنها فلسفة فنية، ولوحة مرسومة بالكلمات، هدفها التواصل والتوصيل والتأثير المحبَّر، إنها حبر ناطق، وروض شائق، وسحر فائق، وعطر عابق، وعود سامق، تبرز شخصية الأديب وفنَّه. وهي لاستعمالها النثر ذات أفنان في كل عنوان، فهي باكية مبكية، وسعيدة مفرحة، وغاضبة، وهادية، ومفكرة، ومتفلسفة، وحانية على الصديق، وهي من أذكى أنواع الاعتذار، وأشد أنواع الفخار في عيون القراء والنظار.

صدق العاطفة:

العاطفة الصادقة هي نبع صاف يستقي منه الأديب معانيه وأفكاره ومشاعره التي ما إن ملكت عليه نفسه حتى تقدح زناد موهبته فيخرجها إبداعا فنيا، وكلمات موحية وصادقة.

ومن أمثلة العاطفة الصادقة رسالة للوزير الفقيه محمد بن عبد الواحد على لسان من صَدَرَ عن زيارة البيت الحرام وقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومما يلحظ في هذه الرسالة: طولها، واستيفاء الوزير محمد بن عبد الواحد عناصرها وصفا، فقد بدأها بالصلاة على النبي محمد صلاة وتسليما عظيمين، ثم وصف حاله عند كتابة رسالته، وما يعتريها من نقص مهما حاول التعبير عما في نفسه تجاه النبي الأكرم، ووصف حالته عند الصدور من زيارة النبي وما امتلأت به نفسه وما يثيره هذا الفراق من ألم ولوعة داعيا المولى عز وجل أن ينعم عليه بالعود، والرسالة مليئة بصدق المحبة الخالصة، والعاطفة المستمرة في كل كلماتها، يقول: "صلوات الله على خاتم الرسل ...ومُجْلِي الظلْم والظُّلَم، ومحيي القلوب بنور الهدى والحكم"[١٠]. فمنذ بدء الصلاة على النبي الكريم والطريق إلى ربط الرسالة بالقلب واضح، ويقول: "كتبت يا أكرم الأنبياء...وقلبي بحبك معمور ومأهول، وعلى الإيمان بك مفطور ومجبول، وبتمثِّل ما عاينته من عظيم آثارك مهول مشغول" فالشاعر ينطلق من حب عميق للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد سيطر عليه هول الموقف وجلاله، فقد وقف بقبر النبي الذي يضم جسده الشريف، ومع ذلك يمضي ليؤكد أنه لو استطاع أن يجعل من الصلاة على النبي "آناء ليلي ونهاري، وآصالي وأسحاري وأجعله شعاري ودثاري، وهِجِّيراي في إعلاني وإسراري" لفعل ذلك، ومع ثناء العاشق لمقام النبوة والاعتراف بالتقصير يستلهم العون من الله عز وجل، فيقول: ((اللهم ألهمني من تحميدك وتسبيحك، والصلاة على رسولك الأمين ونصيحك ما يشغل لساني...اللهم وفِّر حظي من شفاعته، وأحسن عوني على طاعتك وطاعته)).

أما عن حديثه عن حاله عند الصدور عن الزيارة الشريفة، يقول: ((وقد ملأت هيبتك ومحبتك أرجاء فكري، وفضاء صدري، وغشيني من نور برهانك ما بهر

---

(٩) في الأدب الأندلسي ص ٢٢٧، وينظر بلاغة العرب في الأندلس ص ٢٨.

(١٠) الرسالة في الذخيرة ٣/٢٨٦.

لبي، وعمر قلبي. لحقني من الأسف لبعد مزارك والحنين إلى شرف جوارك ما أودع جوانحي التهابا، وأوسع جوارحي اضطرابا...وكيف لا أحنُّ إلى قربك، وأتهالك في حبك، وأعفِّرُ خدِّي في مقدس تربك؟ وبك اقتديتُ فاهتديت)) وهذه كلمات مليئة بحب النبي والرغبة في رضاه ووصله والسعي لشفاعته، فالنبي هو الهادي لأمته في دنياهم، الشافع فيهم في معادهم.

والملاحظ أنه يستقصي المعاني (آناء ليلي ونهاري – شعاري ودثاري- قلبي بحبك معمور وعلى الإيمان بك مجبول-هيبتك ومحبتك الخ)، كما أنه جعل طلب العون على طاعة النبي بعد الامتثال لطاعة الله عز وجل عملا بقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}[النساء: ٥٩]. ويفصِّلُ بعض المعاني توكيدا لها، في قوله: ((ومجلي الظلْمِ والظُّلَم))، والظلم ظلمات، وقوله: ((وبك اقتديت فاهتديت، ولولاك ما صمتُ ولا صليت ولا سعيت ولا طُفْتُ)). ويختار الصفات اختيارا، فقوله: ((بهر لبي، وعمر قلبي)) فيه تقسيم فقد ذكر سيطرة نور البرهان على العقل والقلب، وفي مقام الحب يطنب ويأتي بالجمل متتابعة تؤدي المعنى الواحد بألفاظ متنوعة، يقول: ((لحقني من الأسف لبعد مزارك، والحنين إلى شرف جوارك))، ((أودع جوانحي التهابا وأوسع جوارحي اضطرابا)) ((يا أكرم الأنبياء وسائلن وأعظمهم فضائل)).

ومن صدق العاطفة أسطر كتبها إبراهيم بن خفاجة يستشفع بها، يقول: "وما عرفته مذ كونه عندنا إلا على أقومِ طريقة، وأحسنِ سجية وخليقة، فاستدللت بما عَلَنَ على ما بطَن، وبما بدا على ما انطوى، ولله غيب السماوات والأرض، فمن أمكنَه أن يضعَ عارفةً عنده يجني ثمرتها، فعل، مأجورا مشكورا"[١١]. إن الاستشفاع موقف نبيل يبديه الإنسان خدمة لغيره، ويحار الإنسان فيما يقوله، لكن ابن خفاجة التفت يمينا ويسارا فلم يجد أصدق مما عرفه عن الرجل المشفوع له، فما عرف عنه إلا خيرا، فاستدل بما ظهر على صدق الباطن، فحري بمن هذا سمته أن يشفع له وأن يناله الخير، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قوة العاطفة أو روعتها:

العاطفة القوية لها أثر في إذكاء شعلة الإبداع، وشعور المتلقي بصدق المبدع، وهي لهيب عند الغضب، وجنة وريحان عند طرب الوجدان، ومن رسالة لأبي عبد الرحمن بن طاهر، وقد اطلع على صحيفة أدرجها ابن عمار في كتب أرسلها مع ابن طاهر إلى المعتمد، فلما اطلع ابن طاهر على الصحيفة استشاط غضبا، وكتب رقعة بليغة جميلة وقاسية ، يقول فيها: "بالخبر تنجلي الشكوك، ومع الفرْي تُمازُ المسوك، ورب معمِل سلامة، ومرسل استنامة قد يكشف له المستورُ من خلٍّ عن صلّ بل عن لحم مُصِلٍّ، وهو الإناء ينضح بما فيه"[١٢]. فالثقة التي أولاها ابن طاهر لابن عمار التي كانت تحركه قابلها ابن عمار بمحاولة للغدر، فابن طاهر ((معمِل سلامة، ومرسل استنامة)) لكنه كُشِفَ له ((خلٍّ عن صلّ بل عن لحم مُصِلٍّ)) ولم ينس أن يؤكد أن الإناء ينضح بما فيه، وهذا غضب متراكم متصاعد وعاطفة قوية مستنكرة متسائلة: ما الداعي وما الذي حملك أن تفتك بي؟

يقول ابن طاهر: "ففضَضْتُ ختامها، واستعربت إعجامها، فصرَّحتْ لي بأقوال، بل أقتال؛ فأبِنْ لي -عافاك الله- بأي شيء استحللت دمي، وبعثتني لإراقته على

(١١) الذخيرة ٣/٥٥٠.

(١٢) الذخيرة ٣/٢٩.

قدمي، لا تبل.

إن الأيـــــادي قـــــروضٌ		كمـــــا تـــــدين تـــــدان
مـــــن اســـــتلذَّ زمانـــــا		أرداه ذاك الزمـــــــــــان

وطالب الثار لا ينام، والله ولي الانتقام". ففض الختم، وقراءة الرسالة ثم تصريح الرسالة ليس بكلمات، بل بأفعال من شأنها القتل وإراقة الدم مشهد يعبِّرُ عن ذهول وخيبة وصعوبة تصديق، والمتأمل للجملة الدعائية المعترضة (عافاك الله) يدرك أن ابن طاهر كان قد أسلم قياده ثقة بابن عمار، أملا في أن يولي المشكلات دبره ويستقبل من الخير ما يرضيه، وهذه الجملة دليل على أنه كان صادقا في السعي إلى صفحة جديدة، لكنه لم ينس أن ينغِّصَ على ابن عمار بأنه سيطلب ثأره منه والله وليه.

ومن الرسائل المليئة بالمشاعر رسالة تعزية لأبي محمد بن عبد البر، والموت محل اتعاظ، ويستدعي عواطف متدفقة، يقول: "كتبت عن قلب يقشعر، ونفس بين ضلوعها لا تستقر، لخبر الرزء الهاجم، والنبأ الشنيع الكالم، بوفاة [الحاجب عز الدولة سيدي] كان -لقاه الله الرضوان، وألحفه العفو والغفران- محتضرا في أول الكمال، مخترطا عند الاقبال، مبادرا قبل الإبدار، معاجلا بالسرار، في عنفوان الإقمار، فيا لها حسرة ما أنكاها للنفوس! وجمرة ما أذكاها في القلوب! وروعة ما أفتها في الأعضاء! ولوعة ما أحرها على الأكباد!"[١٣]. فالمتوفى يزول عنه مكانته وسلطانه، ولكن يبقى منه الذكر والأثر، وقد أحسن الكاتب في تأبينه، وقد وصف الحزن والأسى مستخدما أسلوب التعجب، فتعجب من الحسرة، وجعلها حمرة شديدة الاتقاد، وهزة نفذت إلى الأعضاد، وبدأ يتخلص من ذلك بصورة لطيفة حيث إن الموت كأس وكل الناس شاربه، ثم بدأ يهوِّن على من يعزيه قائلا: "وأنت أعلم بالأيام وصروفها، والأرزاء وصنوفها، والأنفس ومآلها، والأجسام واضمحلالها، والعواري وارتجاعها، والمنائح ومقادير إمناعها، من أن يغلبك الجزع والتهالك، وينزع بك الجلد والتماسك، فأنت بالأزمان خبير، وبالأحوال بصير، وباستعمال ما في ذكرك من أمثال التأسي، ومواعظ التعزي جدير"[١٤]. فالتعزية هنا لرجل هو أخبر الناس بتقلب الأيام، ومنه يستمد الجلد، وهذه معان جيدة في تقديم العزاء، ثم يتقدم خطوة في التسلية عن النفس بذكر نعم الله: "وإن كان الله قد سلب بعدله، فقد وهب بفضله، وإن كان أخذ فقد أعطى، وإن كان اختزم فقد أبقى"، فالعطاء منه وكذا الأخذ، ويقول: "والله يمتعك بالباقي الراهن، وينفعك بالثاوي الظاعن، ويجعل هذه الرزية منهى بلواك، وآخر رزاياك، وييسرك للتسليم والاحتساب، ويحفظ عليك ما عرضك به من مذخور الثواب"[١٥]. وتمتد الرسالة لثلاث صفحات يمزج فيها الكاتب بين تأبين الشهيد المدافع عن دين الله، وحث الأمير على الصبر على الرزء، فهو أولى بالصبر وأقوى على النوائب ومشاركة الكاتب للأمير في الرزء والإحساس بهول المصاب.

---

(١٣) الذخيرة ٣/٢١٩.

(١٤) السابق الصفحة نفسها.

(١٥) الذخيرة ٣/٢٢٠.

ثبات العاطفة أو استمرارها:

ولإبراهيم بن خفاجة مقطوعة رائعة كأنها الظرف خفة، واللطف صفاء، وهي حقيقة تحفة فريدة في فنها ولغتها، والرسالة بعنوان (فصل في إهداء تفاحة) فقد أهدى الكاتب شخصًا عزيزا عليه تفاحة، يقول: "مثلُك -أعزك الله- ممن كرُمت سجيته فرقَّت، وحسُنت جملته فراقت، فكانت كلية الظُّرف منه شعبة، وجملة الذكاء شعلة، علم أن خير الهدايا ما جرى مجرى التحايا، وأنَّ أفضل سفير سَفَرَ بين صديقين، وتردد بين عشيقين، سفير أشبه المحبَّ خفة روح، والمحبوب عبق ريح"(١٦). وهي بداية رائعة فبعد أن مدح من يخاطبه بصفات الفطنة والذكاء وجعل الهدية تحية مَدَحَ وبَيَّنَ ميزة الإهداء بهذه الهدية خاصة، ثم عاد ليحيط الهدية التفاحة بأوصاف جميلة ليكشف بها جنبات جمالها، ويكشف عن جنبات نفسه ومكانة المخاطب لديه، يقول: "لم أرَ [إلا] (١٧) أن أجعل رسولي، وأجشِّمَ في اقتضاء سولي مثلَ حمراء عاطرة، كأنها دمعة صبٍّ قاطرة أو جمرة تُصْطَلَى واقدة، أو خمرة تُجْتَلى جامدة، مشتق من الأرَجِ اسمها، حميد في السَّفارة بين المحبين رسمها، لم أرَ مثلها ذهبا ينفَحُ، ولهبا لا يَلْفَحُ، قد أودعَ حشاها الصبحُ فَلْقَه، وخلع عليها الليل شفَقَهُ، فهي تقد كأنها نشأت في تربة من نار ضلوعي، أو سقيت بجدول من حمر دموعي، ولما وجدتها في الحسن حيث العيون ترمقها فتَمِقُهَا، والنفوس تَنْشَقُها فتعشقها، بعثت بها تحية لك، ورسول إليك، معتقدا أنها ستُقْبَلُ عندما تُقْبِلُ، وتفدَّى حين تتصدَّى، فودْتُ أن أكونها، وأحظى بتلك الحال دونها"(١٨). وهي صفات أهلت الهدية التفاحة أن تكون رسول ودٍّ بين المحبين، وهو يربط نقاء صفات التفاحة بصفاء ما يحمله للمخاطب، حتى أن هذه الصفات التي من أجلها تُحَبُّ التفاحة تؤهلها أن تنال رضا المخاطب، بل يقدمها على غيرها حتى ودَّ الكاتب أن يكون دونها حتى يتصدر لدى المخاطب ويقترب، وهذه خاتمة جميلة كاشفة لغرض الهدية والرسالة أيضا، وهي التقرب، فالهدية محبة والمحبة قربٌ واتصال.

ومن روعة العاطفة الباعثة حين يبتدئ الكاتب صداقة لم تكن، ويمد حبل وصل محاولا عقد أوصر صداقة جديدة، هنا ينبعث من رغبة في الوصال وسبب للاتصال، ولمحمد بن عبد البر فصول في ذلك بها كلمات رائعة كاشفة عن رغبة في اصطفاء الأصفياء، ومن كلامه: "قديما تواصل الناس على البعد، وتهادوا ثمرَ الإخلاص والودِّ، وإن لم يتقدم سببٌ موجبٌ للتواصل، ولم يَرِدْ رائد مقتض للتراسل، وما أقول إن مخالطةً تمكنت لا سبب لها، ولا مواسطة تمهدت لا باعث عليها، فإن تَوْقَ النفس إلى استصفاء الفضلاء، واقتناء مودَّات الأوفياء أقوى أسباب الارتباط، وأدعى أبواب الاختلاط، ومحال أن تنجذب نفس إلى من ليس لها به أُنْسٌ، أو يَكْلَفَ ضمير بمن ليس له منه حظ موفور، وقد تخلت مخاطبتي لك من الأسباب إلا من سبب المحبة فيك، والمعرفة بجميل مذاهبك ومساعيك، والرغبة في اقتناء خُلَّتِكَ، وادخار صداقتك، لما شهر من أحوالك الجميلة، وظهر من خلالك النبيلة، ومن كان على ما أنت عليه فمر غوب فيه منجذب إليه، مطلوب إخاؤه،

---

(١٦) الذخيرة ٣/٥٤٤.

(١٧) زيادة من عندي أظنها أصوب لمعنى الكلام.

(١٨) الذخيرة ٣/٥٤٥.

مخطوب صفاؤه، محبوب على البعاد، مفدًّى حتى من الأضداد"[١٩]. وكما يتضح من كلام ابن عبد البر فإن الرجل إن لم يسعَ لمصاحبة النبلاء من عرفوا بالفضل ولبسوا رداء الفضائل فمن يصادق، والقطعة تقدم أسبابها مازجة بين العقل والقلب، فمن المنطقي أن يتواصل الناس، وأن يبدأ أحدهم وإن لم يكن ثم سابق معرفة، ومن الأدب أن تكون الصداقة عن رغبة في محبة بعد معرفة بما شاع من الأحوال الجميلة والخلال النبيلة، تلبية لرغبة الإنسان و"الصداقة علاقة تقوم على الاختيار والتقارب كما أنها اجتماعية ودائمة "[٢٠].

ومن المقطوعات التي يشعر قارؤها أنها سبك واحد قطعة لأبي مروان بن حيان يهنئ فيها عاملا بالخلاص من نكبة ألمت به، يقول: "كتابي عن نفس قد أشرق وجه صباحها، وهبت رياح ارتياحها، وسرى نَفَس السرور فيها، بما طلع علينا من البشائر السارة بخلاصك، وجميل انفكاكك ومناصك، على حين بلغت قلوب الأودَّاء الحناجر، وكادت موارد الحزن لا تكون لها مصادر، فإن الأيام عمَّت فيك بإساءتها إليك، كلَّ منتسب إلى فضل، متسمٍ باسم نبل، وإن كانت قد أصابت فيك سواد ناظرها الذي تضيء به وتتجمل، وسِخَت منك بحلي جيدها الذي يحق به أن تبخل، فذلك خلق لها لم نزل نصحبها عليه اضطراراً لا اختياراً، فالحمد لله الذي كفى ووقى.

فأنت أعلم بمجاري الأمور، ومصاير الدهور، وأهدى إلى التسليم للمقدور، فلم تورد الأيام عليك من حوادثها المجهول النُّكر، ولا وردت عليك بالفَتْكَةِ البكر، ولا هاضت منك بما جنته، ولا هدَّت من ركنك بما أتته، بل صادفت منك الإبريز الذي لا يزيده السبك إلا تخليصاً، والمبرز الذي لا يعقبه حؤول الأحوال نكوصاً؛ تتلقى الخطوب بصدر وساع، وصبر منفَسِح الباع؛ وتسبر الدهر بمسباره، وتعرف من مكنونه حقيقة إيراده وإصداره"[٢١].

ويبدو الصلة التي كانت بين ابن حيان وهذا العامل مما جعله يطير فرحا بخبر نجاته من كبوته مستعملا كلمات مبهجة وهي اول ما يُلاحظ (وجه-صبح-ارتياح-سرور-بشائر-سارة) كما أنه وصف ما ألمَّ بالعامل ووقعه على نفسه، بل على الدنيا وصفا قويا، فجعل العامل سواد ناظر الأيام، وحلي جيد الزمان الذي كان أولى به ألا يجود به بل يحافظ عليه، ثم حمد الله الذي كفى ووقى. ومن الجيد في هذه التهنئة أنه قلل من النكبة وعظم من قدرة العامل على تحملها والتجمل في مواجهتها، كأنه يتوقع له أن يتجاوز محنته، ويسرع الوقوف من كبوته. وابن حيان ابتدأ بقوله: (كتابي) فالرسالة قصيرة تجاهل فيها ذكر ما حدث وألى اهتماما للشد من أزر العامل، وأستشعر أن قوله: "فأنت أعلم بمجاري الأمور، ومصاير الدهورالخ" فهو يتحدث لرجل قريب من صناعة الأحداث، ويعرف كيف تتقلب، وأعلم بمجرياتها، وطالما أن الزمان لم يفتك به الفتكة البكر فقد نجا.

تنوع العاطفة أو شمولها:

قد تتعدد العواطف في الموقف الواحد، فتختلط مجموعة من المشاعر فتتكون عواطف متعددة وليست عاطفة واحدة، والحياة الإنسانية مليئة بمثل ذلك حين

---

(١٩) الذخيرة ٣/١٩١.

(٢٠) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ص ١٦٩ بتصرف.

(٢١) الذخيرة ١/٥٨٤.

يختلط قدر من الفرح بقدر من الحزن، وحين يلبس الغضب ثوب الشفقة وغير ذلك، ومن الرسائل التي تتنوع فيها العواطف رسالة الوزير أبي عامر بن الشهيد إلى الوزير ابن عباس، وفيها عتاب لابن عباس، وغضب وهجاء مقذع لواشٍ سعى لإفساد ما بين ابن شهيد وابن عباس، وقد بدأها بعتاب ذكي يستغرب فيه أن يتغير عليه ابن عباس مع فطنته وذكائه الذي يعول عليهما ابن شهيد، يقول: "ولما أسندتُ منك إلى هضبة لا انخرام معها، واستمسكت بعروة لا انفصام لها إذ ورد عليَّ كتاب رسولي إليك يذكر تغيرك له، وأنكرتُ ذلك عليك، ثم تذكرت قولهم: ما نزل حتى رحل."[٢٢]. ثم يذكر ثقته به فيقول: "وقلت: أيستنوق الجمل؟ ويتضع الكوكب، وتخف حصاة الحلم ويتضعضع جبل العمل والعلم، ويكبو جواد الهمم، وتزل نعل الكرم، وتغلب الدنيا الدين، ويسطو الشك باليقين؟ ... فتللت الأوهام للجباه، وكبحت الظنون كبحة أقعدتها عن الأشباه، ولم تبق إلا بقية من قول القائل:

ولو ترك الناس الملوكَ		ولكنَّ أولاد الزناء كثير

فبحثت عمَّن طرأ عليك من الأنذال وحلَّ بساحتِك من الأعلاجِ، فقيل لي: ابن فتحٍ، فأنعمت البحث، وأعملت لطائف الكشف حتى صح عندي أنه كدَّرَ صفوكَ عليَّ، وغيَّرَ شربك لدي، فقلت: من هاهنا أتينا"[٢٣].

لقد بدأ بالعتاب الذكي الرقيق، واستعمل معاني وجملا وكلمات حصيفة لوصف حال الود وحالة المعاتَب من فطنة ورجاحة عقل يصعب معها أن يكون التغيُّر لهوى نفس، ويلاحظ قوله: "ما نزل حتى رحل" الذي يوحي بسرعة تغير ابن عباس مع ثبات الود وأن رسل المحبة كانت قائمة فلا سبيل للتغير إلا بسبب واضح، وهو ما أثار دهشة ابن شهيد. فالجواد لا يكبو ولا يسطو الشك باليقين في قلوب المؤمنين، ولما طرد كل ظن بابن عباس لم يبق له إلا أن يفتش فيمن يكون سببا في تغير وجه الصداقة المشرق، ثم انطلق غاضبا مقذعا في هجاء ابن فتح، واستمر هذا الهجاء الغاضب من ابن فتح ما يزيد على ثلاث صفحات، وفيها استشهاد برأي الوزير خالد بن يزيد في ابن فتح، وقد أبدع ابن شهيد في هجائه الغاضب، ومن بديع ما قاله: "وما كان هذا القردُ أهلا لأن يُحمل عليه حرُّ كلام، ولا ليُرْمَى بفضل بيان، وبالحرا أن يرقم على عتبة دكان، أو يصور على باب حمام، وقد غُرِسَ في وجعائه رأس نخلة، وحيي في سعفها عشُّ نحلة، أو ينقَشُ في خاتم قيمار، وقد علاه خنزير، وعطسَ مستنجاه بإبرة زنبور، فإنه بقيةٌ من بني إسرائيل الذين استحلوا الحرام، واجترحوا السيئات والآثام"[٢٤].

وقال: "وهذا المذكور مشؤوم، أدوى من موم، وأشأم من بوم، يسيء لمن أحسن إليه، ومن أجاره تجنَّى عليه، منته نفسه على ضيق نفسها مُلْكَ الملوكِ... لقد خبُثَ مغرِسُه عمَّا حاول، ولؤم معطسه عما تناول، وهيهات ألا تُنْبِصِر الشمسَ العُمْشُ، ولا تهتدي السبل الخُفْشُ، وإني لأخاف على سعدِك نحسَه، وأحذَرُ على يومك أمسَه"[٢٥].

---

(٢٢) الذخيرة ١/٢١٣.

(٢٣) السابق ١/٢١٣-٢١٤.

(٢٤) الذخيرة ١/٢١٥.

(٢٥) السابق ١/٢١٧-٢١٨ بتصرف.

فابن شهيد بعد أن هجا ابن فتح وعرَّاه من كل فضيلة، يزرع الشك والخوف في قلب ابن عباس الذي أوغر ابن فتح صدره تجاه ابن شهيد.

لقد بلغ ابن شهيد غرضه في رسالته الطويلة التي عاتب وهجا وغضب وحذَّر واستدعى الشهود في موقف واحد، كأننا في قاعة محكمة، يلتفت يمينا ليثبت التهمة على الجاني، ويسارا ليدفع الظِّنة عن نفسه، ويتطلع إلى القاضي ليحظى بعطفه وعدله مقدما الشهود والدلائل، وكانت عاطفته الواضحة في كلماته وأساليبه معبرة عن مراده.

ابن زيدون له رسالة مزج فيها بين الاعتذار والعتاب والهجاء والشكاية، وهي رسالة تكاد تنفجر كبركان وتتقد بالنيران، أخذ فيها ابن زيدون يدهش حائرا من تصديق ما قيل عنه وحيك له، صابًّا جام دمدمته على ابن العطار الذي شهد على ابن زيدون زورا وقال فيه بهتانا، والرسالة طويلة تصل إلى إحدى عشرة صفحة، وسأحاول أن أقطف من أزهار بستانها ما يوضح لهيب عاطفة ابن زيدون فيها، يقول في بدايتها: "يا سيدي الذي كنت أراه أعد عُدَدِي لأبدي، وأحصن جُنَنِي من زمني، ومن أبقاه الله في أصلح الأحوال، وأفسح الآمال؛ أبدأ من كتابي إليك، بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صنعت، مما بلغني أنك صدر اللائمين لي عليه، وأول المسفِّهين لرأيي فيه، ومن أمثالهم: ويل للشجي من الخلي، وهان على الأملس ما لاقى الدبر، وأُوَسِّطُهُ بمعاتبتك على ما كان من انفصالك عني، وبراءتك أَمَدَ المحنة مني، وأنك لم تكن في وِرْدٍ ولا صَدْرٍ من مشاركتي فيها، ولا كانت لك ناقة ولا جمل في مظاهرتك لي... وإنما يعاتَبُ الأديم ذو البشرة. والمثل السائر: "ويبقى الود ما بقي العتاب" وقال الأول:

أبلغ أبا مسمعٍ عني مغلغلةً		وفي العتاب حياة بين أقوام

"[٢٦]

فهو بالعتاب يستبقي الود مع أن المخاطب لم يكن ممن وقف بجوار ابن زيدون في محنته، وهو من بداية رسالته يبدو متحفزا للدفاع عن نفسه ومعاتبة أخلائه، ومن عتابه أيضا في الرسالة: "ولعمرُك يا سيدي إنَّ ساحة العذر لتضيق عنك، وما تكاد تتسع لك في إسلامك لتلميذك وابنِ جارك وشيخك الذي لم تزل متوفراً عليه، آخذاً عنه، مقتبساً منه، مع إكثارك من ذكر هذا، والاعتداد به، وادعاء الحفظ له. وقد رَوَيْتَ أن حسن العهد من الإيمان، وسمعت المثل: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فالمرء كثير بأخيه، وألا أقل من استعمال الجد، واستغراق الجهد:

فمبلغ نفس عذرها مثل منجح ولا لوم في أمري إذا بلغ العذر

ولكن من لك بأخيك كله - وأين الشريك في المرِّ أينا"[٢٧]. فلابن زيدون حقٌّ كان يجب مراعاته، وعلى المعاتَب واجب الأخوة والتلمذة عند والد ابن زيدون، ولكن أين الشريك في النوائب، وابن زيدون وإن كان يعاتب إلا أنه يستبقي الود، وإن كان يذكر بسالف العهد يوضح أن الوشاية به كانت عن غير ذنب، بل صادفت الوشاية هوى.

أما عن الواشي فيقول: "وشهد ابن العطار العشار العاري من الثقة والأمانة، البعيد من الرعية والصيانة، الناشر لأذنيه طمعاً، الآكل بيديه جشعاً، فكان القول ما قالت حذام. ولم يقتصر على أن أُلْحِقَ بالشهود وهو واو عمرو فيهم، ونون الجمع

---

(٢٦) الذخيرة ١/٤٠٨.

(٢٧) السابق ١/٤١٣.

المضاف معهم، دون أن يُلْحَقَ بخزيمة ذا الشهادتين، وينوب منفرداً عن اثنين، و

لـــيس علـــى الله بمســـتنكَرٍ		أن يجمـــعَ العـــالم فـــي واحـــدِ

وليتني مع من لا يحلُّ قولُه عليَّ أعذر في شهادته إليّ، ولم يقترن الحشف مع سوء الكيلة"[٢٨]. فالشاهد ابن العطار لم يكن من جملة الشهود فمن أدخله فيهم؟ وهو فيهم كالواو الزائدة في عمرو، ثم بعد ذلك تعتمد شهادته هو كأنه خزيمة ذو الشهادتين، أو كأنه العالم كله في شخص واحد فشهادته ألغت كل شهادة غيره، هذا ما ألهب عاطفة ابن زيدون، حيث أخذ بجرم هو منه براء، وحُكِّمَ في الشهادة عليه من ليس أهلا للشهادة،وغلقت في وجهه الأبواب.

ويقول واصفا حاله بعد الفرار من السجن ليؤكد على أن ظلمه عن قصد: "وأكد ذلك في ظني ما كان أشار إليه بعض من كنت آوي إلى الثقة بعهده، وأبني على الوثاقة من عقده، من الفقهاء الموسومين بالأثرة عند الحَكَم المذكور، والمكانة منه، وقد عاتبته على تأخره عن مظافرتي، وتقصيره في مؤازرتي، فاعتذر بأن ذلك لا سبيل إليه، ولا منفذ للحيلة فيه، إذ المحرِّضُ عليَّ لا تتأتى معارضته، ولا يتهيأ الاستبداد عليه، وأنه وصفني بالبذاء، وعابني بالتسلط على الأعراض"[٢٩]. وهذا الجزء يكاد يخلو من السجع، والرسالة لا تلتزمه، وهذا يؤكد عفويتها.

ومما يميز هذه الرسالة طلاقتها وعفويتها، فلا أثر للتكلف فيها فالخطب قد ملك على ابن زيدون عقله وقلبه، فلا تكلف فيها، بل ثقافة ابن زيدون وفكره وعاطفته الصافية المندفعة ومع ذلك فالرسالة موشاه بالقرآن والأشعار والأمثال، مقذعة الهجاء رقراقة العتاب، وفيها دفاع عن النفس ورضا بما قضاه الله من الحبس، ووقع السجع فيها عفوي بلا كلفة.

المبحث الثاني: العاطفة وأثرها في تشكيل الجمل والصور.

إن اختيار الكلمات وتكوين الجمل وتشكيل الأسلوب لدى الأديب يكون انعكاسا للمعاني التي يولدها الفكر نتيجة لما يشعر به وتثيره عاطفته، إن اختيار الكلمات المؤدية للغرض والجمل المنمقة هما عون في الحجاج والإقناع والوصول إلى الغرض، كما أن تشكيل صور ذات قدرة تعبيرية موحية تجعل من الرسالة قطعة فنية، و"اللغة والأسلوب هما جوهر الصورة، وإن استعملا في شتى ألوان الفكر والنشاط الإنساني الآخر، والصورة تتخذ اللفظ وسيلة للتخيل والتجسيم والتشخيص والتلوين والإيحاء والحركة والأضواء والظلال والإيقاع الرتيب"[٣٠]. وتعدُّ العاطفة منبعًا من منابع الصورة الأدبية، "وهي التي تنتقي ألوان الصورة فتركز الأصباغ، أو تمزج الألوان أو تبعث الأضواء وسط الظلام؛ لأن عصاها سحرية لا تبقي ولا تذر وبها تنطق الصورة بالحزن وتهتز للفرح وتصطخب للحماس والنضال وهكذا"[٣١].

الكلمات والأساليب:

لا شك أن اختيار الكلمة المعبِّرَة الموحية، والأسلوب المناسب لما يجيش بقلب

---

(٢٨) الذخيرة ١/٤١٠.

(٢٩) السابق١/٤١٤.

(٣٠) الصورة الأدبية تاريخ ونقد ص ١٦٣.

(٣١) السابق ص ١٦٦.

وعقل الأديب مما يكون له عظيم الأثر في إبداعه، والرسائل الشخصية مليئة بالكلمات المختارة بعناية الحسنة الموقع جميل الوقع في أذن السامع وأمام عين القارئ، وتتشابك في أساليب جزلة مؤثرة، ومن ذلك قول ابن شهيد: ((ورد كتابك الكريم، بفضله العميم، يتبلَّج تبلُّج البرق، ويتحلَّب تحلب الودق، متكسرًا في المشية، جاليًا لليل الشك والمرية، قائدًا بأزمة المنى والبغية، كلما اشتق موجًا غمَره، أو لاعب مرجًا بهره، أو جزع واديًا أمده من أتيّه، ونعم من أنبوب برديَّه، أو مرَّ بروض شق عليه رداء ورد، وأثار به عجاج ند، أو عارض حمامةً حيته بغنائها، أو سامت لقوة نزلت إليه من هوائها، أو مسح بعُصم حنت إليه، أو خطر بأسد تهالكت عليه))[٣٢]. والعبارات هنا قصيرة ومسجوعة، ومتدفقة رويدا رويدا فابن شهيد أفاض في وصف مجيء الكتاب إليه منوعا من المعاني التي تفيد حسن استقباله وقيمة الكتاب وكاتبه لديه.

وله قطعة جميلة عذبة يتكلم فيها عن التقوى والخشوع لله، وفضلا عن عاطفتها الإيمانية، فكلماتها عذبة منتخبة بعناية، وأسلوبها سهل المأخذ حسن التعبير، يقول: ((لا نعمة للخالق على المخلوق أجمل عاقبةً، وأحمد مغبةً، وأروق بهاء، وأسبغ رداءً، وأبعد مأثرة، وأيسر مكرمة، من تُقًى يشعرها قلبه، وأدب يزين به عقله، ولسان مبين يفيضه عليه فيعرب به عن نفسه، ويكشف عن حقيقة ذاته، قال الله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات: ١٣) وقال: {هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون} (الزمر: ٩) ، وقال {سلقوكم بألسنة حداد} (الأحزاب: ١٩) ، وقال: {أو من ينشَّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين} (الزخرف: ١٨) وقال علي رضي الله عنه: ((قيمة كل امرئ ما يحسن))، وقال: ((المرء مخبوء تحت لسانه)). ولذلك كانت الملوك تعدل ببنيها عن التنعم إلى شظف العيش، وتدني محالَّهم من البادية، وتبوئهم منازل الفصاحة، لتحتد أفئدتهم، وتمتد ألسنتهم، وينسابوا في لصاب الدهاء، ومزاحف النكراء، فيجيدوا الحز، ويطبقوا المفصل، ويسوسوا النوب، ويكبتوا الخصوم، ويخرجوا من الغماء، ويمضوا قدمًا في الشنعاء))[٣٣].

والألفاظ في الرسالة سلسة ومعبرة فقد استعمل أسلوب التفضيل (أجمل، أحمد، أروق، أسبغ، أبعد، أيسر) كل ذلك ليصف نعمة الله الحقيقة بالشكر فاستعمل أوصافا جيدة المعنى وصيغة أنسب للمقام. ثم حدد النعمة تحديدا شاملا فهي تقوى القلب وأدب يزين العقل، واللسان المبين، وذلك يجعل المسلم كاملا الحسن والخلق قلبا وقالبا، وفيه ما يسميه البلاغيون جمعا.

ثم ذكر من الشواهد القرآنية ما يؤيد به نعمة التقى والبيان، وكذا أقوال الإمام علي التي تؤكد أهمية البيان عن النفس، وكذلك تحدد قيمة المرء فيما يحسنه، وأي قيمة أفضل من أن يزين الإنسان أدب وبيان وتقى. وكما هو واضح يلتزم السجع في غالب رسالته مع توازن الجمل وتناسبها، ولأن عاطفته هنا إيمانية فعباراته بدأت قصيرة ثم امتدت وطالت، ولم يتكلف لها السجع وأكثر من ذكر الصفات المناسبة والمعبرة عن المعنى.

ووردت أساليب متنوعة منها أسلوب التعجب: ((فيا لها حسرة ما أنكاها للنفوس! وجمرة ما أذكاها في القلوب! وروعة ما أفتها في الأعضاء!))، وأسلوب النداء:

---

(٣٢) الذخيرة ١/٢٠٣.

(٣٣) السابق ١/٢٢٦.

((يا سيدي))، ومنها الاعتراض: ((مثلك -أعزك الله- ممن كرمت سجيته)).

العاطفة والمعنى:

المعاني الجميلة صدى للعاطفة القوية التي أثارتها، والمعاني تتشكل من الألفاظ ونظمها وما تحمله من بلاغة وصور وخيال، وبراعة الكاتب في استحداث المعاني وتوظيفها جزء من قدرته الفنية وتجلٍّ لعاطفته الباعثة، ومن رسالة لابن شهيد يصف في هذا الجزء حالته النفسية التي ألهبت عواطفه: "فتَنَفَّضْتُ تَنَفُّضَ العُقَابِ، وهزَّتْنِي أريحيات الشباب، وقام بوهمي أني ملأت الأرض بجسمي، فأومأت إلى الجوزاء بكفي أن تأملي، وإلى العوَّاء أن أقبلي، وقلَّت المجرة في عيني أن تكون لي منديلا، وصغر الزبرقان عندي أن أتخذه إكليلا، وقلت: هكذا يكون الألوك، وبمثل هذا تَنْفَحُ الملوك"[٣٤]. فأي شعور غمره وقد رأى نفسه من السعادة والفخر وقد صغرت المجرة في عينه وملأ الأرض بجسمه من التضخم اغتباطا.

ومن المعاني الجميلة الملائمة لموضوع الرسالة ومناخها رسالة لابن عبد البر أيضا في تعزية حيث ابتدأها بوصف حالته من وقع الخبر عليه لما للمتوفَّى من شريف الخصال وكريم الفعال، ثم ذكر أن من يرسل إليه التعزية ممن خبرَ صروف الدهر، فلا يتضعع مهما جل الأمر، وتتابع المعاني وترتيبها يجعلها جديرة بحسن التأسي، ومنها: "كتبت عن قلب يقشعر، ونفس بين ضلوعها لا تستقر لخبر الرزء الهاجم، والنبأ الشنيع الكالم بوفاة الحاجب عز الدولة سيدي، كان لقَّاه الله الرضوان، وألحفه العفو والغفران محتضرا في أول الكمال، مخترطا عند الإقبال، مبادرا قبل الإبدار... فيالها من حسرة ما انكاها للنفوس، وجمرة ما أذكاها في القلوب... وأنت اعلم بالأيام وصروفها، والأرزاء وصنوفها، والأنفس ومآلها...من أن يغلبك الجزع والتهالك، وينزع بك الجلد والتماسك، فأنت بالأزمان خبير وبالأحوال بصير...وإن كان الله قد سلب بعدله، فقد وهب بفضله، وإن كان أخذ فقد أعطى، وإن كان اخترم فقد أبقى"[٣٥].

والرسالة طويلة تناسب مقام التعزية والتأسي، ومعانيها معبرة وقوية ما بين مشاركة في الأسى وحث على الصبر مع ما لصاحب الرزء من خبرة بالأيام وسنة الحياة، وذكر الفقيد بأجل الأوصاف لكنه قدر الله، ومن سيتصبر إن لم يفعل المرزوء وهو سداد الملمات ونور الظلمات. ومناسبة المعاني لموضوع الرسالة واضح وسيطرة الكاتب على جوانب الحدث لا تترك في نفس مكلوم أثرا لحزن إلا سلَّته، وبردت جوى الأسى ببرد التأسي.

الصورة الأدبية:

الصورة الأدبية تتكون من الصورة البلاغية التي تنطلق من أحد فنون البلاغة الثلاثة علم المعاني، علم البيان، علم البديع، وكذلك الصورة البيانية تستقَى من علم البيان كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وغيرها، والصورة الأدبية ما ترسمه مخيلة الأديب باستخدام اللفظ كريشة فنان، وتتأثر بحالته النفسية، وحين يستخدم الأديب لغته للإيحاء لا الواقع يكون قد أدَّى صورة أدبية، وهي إما إبداعية وإما نقلية، وإما واقعية، وتخلق الصورة أدبية في النص جمالا وجذبا، وتغني الفكرة

---

(٣٤) الذخيرة ١/٢٠٥.

(٣٥) السابق ٣/٢١٩-٢٢١ بتصرف.

وتحرِّك القارئ، وتنقله إلى أجواء أرفع من أجواء الواقع(٣٦).
إن الصورة ترتكز على الخيال وهو "أساس الصورة الأدبية مهما تكن درجته الفنية ساميا أو عاديا، وهو مع ذلك ذو طرق شتى في تناول العاطفة، فإذا شاء الأديب أن يشعرك جمال الوردة وصفها لك وصفا رائعا توقظ بهجته في خيالك محاسنها الظاهرة في لونها وشكلها وأريجها أو ذكر لك المعاني التي توحي بها الوردة كزهو الشباب، وفرحة الأمل والاحتيال بالحسن"(٣٧).
ومن الصور البلاغية في الرسائل الشخصية ما ذكره ابن برد في رسالة يفضل فيها البهار على سائر الأزهار، وقد أجرى حديث التفاضل على ألسنة النبات كأنها شعراء وخطباء تتبارى في نادٍ من أندية الأدب، قال: "وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار، النرجس الأصفر والبهار، والبنفسج والخيريَّ النمام. فقال النرجس الأصفر: والذي مهّد لي حِجْر الثرى، وأرضعني ثدي الحيا، لقد جئت بها أوضح من لبَّة الصباح، وأسطع من لسان المصباح، ولقد كنت أسِرُّ من التعبد له والشغف به، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه، ما أنحل جسمي، ومكّن سُقْمي، وإذ قد أمكن البوحُ بالشكوى، فقد خف ثقل البلوى. ثم قام البنفسج فقال: على الخبير سقطت، أنا والله المتعبّد له، والداعي إليه، المشغوف به، وكفى ما بوجهي من ندوب، ولكن في التأسي بك أنس"(٣٨).
والصور البلاغية في هذا النص تتلاحق فمنها التشخيص، ومنها تشبيهه المطر باللبن الذي يرضعه، ومنها تشبيهه مرة بحدقة العين وأخرى بالعين الباكية.
ويقول ابن حيان في رسالة له يهنئ عاملا بخلاصة من نكبة: " كتابي عن نفس قد أشرق وجه صباحها، وهبت رياح ارتياحها، وسرى نفس السرور فيها"(٣٩). وهي كناية عن سعادته بخلاص الرجل من محنته، وهذه الكناية اجتمعت مع براعة استهلال الكاتب الذي عبر عن سعادته لهذا العامل من أول كلماته جامعا بين المعنى الجيد والكناية، واستعمل كلمات (أشرق، وجه، صباح) للدلالة على التفاؤل، ولا شك أن الوجه كاشف عن الإنسان وحالته فأخذه للصباح ثم جعله متلألأ بالإشراق. وقال أيضا: "فإن الأيام عمت فيك، بإساءتها إليك، كل منتسب إلى فضل، متَّسم باسم نُبل، وإن كانت قد أصابت فيك سواد ناظرها الذي تضيء به وتتجمل"(٤٠). فقد جعل العامل سواد ناظر الأيام مشبها إياها بإنسان له عين، وجعل الإصابة ليست للعين فقط، بل لسواد ناظرها.
وفي رسالة ابن الدباغ يقول: "أوحش بأيام أقطعها وأفنيها، وأثواب عيش أخلقها وأبليها بحيث لا أراك عيانا، ولا أملك أنديتك مكانا حتى أعتز بك من هون أُغْضِي فيه على القذى، وأصبر منه على حز المدَى"(٤١). فقد استعمل أسلوب التعجب

---

(٣٦) ينظر المعجم المفصل في الأدب ٥٩١/٢ بتصرف. ويقول د. داود سلوم: "إن امتزاج المعنى والألفاظ والخيال كلها هو الذي يسمى بالصورة الأدبية" النقد الأدبي ص ٨١.

(٣٧) أصول النقد الأدبي ص ٢٤٣.

(٣٨) الذخيرة ١٢٩/٢.

(٣٩) السابق ٥٨٤/٢.

(٤٠) السابق ٥٨٤/٢.

(٤١) السابق ٢٥٤/٣.

وغرضه إثارة مشاعر المخاطب، ثم شبه الأيام بشيء متعرض للفناء، وشبه عيشه وحياته بأثواب تبلى، واختياره للكلمات أتى موفقا فقد جمع بين (أوحش، أفنيها، أخلقها، أبليها) كل ذلك ليعبِّر عن ضيقه بالأيام دون رؤية الممدوح. واستعمل الكناية (أغضي على القذى) كناية عن تحمله الأمور الشاقة على النفس، وكذا عبَّر بأصبر منه على حزِّ المدى ليدل على المعنى ذاته.

ويحلُّ ابن الدباغ بيتا شعريا للمتنبي ليصف حاله شاكيا، يقول: "وأنا كما تدريه غرض للأيام ترميه، ولكني غيرُ شاكٍ من آلامها، لأنَّ قلبي في أغشية من سهامها، فالنصل على مثله يقع، والتألم مع هذه الحال يرتفع، وكذلك التقريع إذا تتابع هان، والخطب إذا أفرط في الشدة لان، والحوادث تنعكس إلى أضداد، إذا تناهت في الاشتداد، وتزايدت على الآماد"[٤٢].

وهو يشير إلى قول المتنبي:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالأَرْزَاءِ حَتَّى		فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فصِرْتُ إذا أصَابَتْنِي سِهَامٌ		تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ على النِّصَالِ[٤٣]

وأما قوله: ((والخطب إذا أفرط في الشدة لان، والحوادث تنعكس إلى أضداد، إذا تناهت في الاشتداد، وتزايدت على الآماد)) ففيه مبالغة فالحوادث تصل إلى نهايتها حتى تنقلب إلى أضداها، وتتناهى في الاشتداد وتزيد على الآماد.

ومن حسن التعليل ما ذكره ابن زيدون هاجيا، قال: "وشهد ابن العطار العثَّار العاري من الثقة والأمانة، البعيد من الرعية والصيانة الناشر لأذنيه طمعاً، الآكل بيديه جشعاً، فكان القول ما قالت حذام. ولم يقتصر على أن أُلْحِقَ بالشهود وهو واو عمرو فيهم، ونون الجمع المضاف معهم، دون أن يلحق بخزيمة ذا الشهادتين، وينوب منفرداً عن اثنين، و:

ليسَ على الله بمستَنْكَرٍ		أنْ يجمعَ العالَم في واحد[٤٤]"

وهو هنا لا يمدحه كما هو سياق بيت أبي نواس، بل هو يبدي اندهاشه وسخريته من أن يكون ابن العطار كما وصف ثم تعدُّ شهادته قولا فصلا، ولربما يكون ذلك لأن العالم كله اجتمع فيه فليست شهادته بشهادتين كخزيمة ذي الشهادتين فحسب، بل هو العالم أجمع في فرد، فاجتمع له حسن التعليل والذم بما يشبه المدح أيضا.

ومن الاستعارة قول الأعمى التطيلي: ((عاطيته كأس الوداد فأمرَّها وزفَفْتُ إليه بنت الفؤاد فأضرَّ بها وأضرَّها))[٤٥]، فاستعار الشراب للوداد بجامع السَّوْغ في كل ورشحها بذكر الكأس، وكذلك تشبيه المحبة بالعروس تزف إلى زوجها، ورشحها بقوله: زففت، كما أنه عبر عن المحبة بالكناية بنت الفؤاد، لأنه محلها.

ومن الصور الأدبية: ما ذكره ابن شهيد من وصف حاله، يقول: "فتَنَفَّضْتُ تَنَفُّضَ العُقَابِ، وهزَّتْنِي أريحيات الشباب، وقام بوهمي أني ملأت الأرض بجسمي، فأومأت إلى الجوزاء بكفي أن تأملي، وإلى العوَّاء أن أقبلي، وقلَّت المجرة في

---

(٤٢) الذخيرة ٣/٢٥٦.

(٤٣) ينظر ديوان المتنبي ٣/١٤١.

(٤٤) الذخيرة ١/٤١٠. والبيت لأبي نواس في ديوانه ص ٢٦٢ تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي.

(٤٥) السابق ٢/٧٢٩.

عينـي أن تكـون لـي منـديلا، وصـغر الزبرقـان عنـدي أن أتخـذه إكليـلا، وقلـت: هكـذا يكـون الألـوك، وبمثـل هـذا تَـنْفَحُ الملـوك"[٤٦]. وللقـارئ حينئـذ أن يتخيـل مـدى الزهـو والامتلاء والفخر الذي أحس به من تضخمت نفسه بهذه الطريقة.

ومـن هـذه الصـور البديعـة مـا قالـه أبـو الفضـل حسـداي فـي رسـالة لـه علـى لسـان النـرجس، قـال: "فبينـا أنـا سـقيم الجفـون مـن غيـر سَـقَم، مائـل الجِيـد مـن دون أَلَـم، حتَّـى أُتِـيح لـي ظريـف مـن خواصـك يقصـدني، ونبيـلٌ مـن عبيـدك يعتمِـدُني، فأوجسـتُ حـذرا وتشـوُّفًا، حتـى أنسـني بـالكلام تألقـا، وقطفنـي بغيـر إيـلام تلطفـا"[٤٧]. فالقـارئ يتخيـل حالـة هـذا النـرجس البديعـة، وشـأن الظريـف الـذي قطفـه دون إيـلام، فهـو نبيـل يعـرف قيمة النرجس.

ويقـول أبـو بكـر عبـد العزيـز: "وقلـت: سـلمت أخـا الببغـا، مـن المنسـر الأشـغَى، وبلغـت المـدى، وجُنِّبْـتَ مـن حَـزَّة المُـدَى، وعُوفيـتَ مـن كـلِّ حيـةٍ صـفراء، ترنـو إلـى الطـائر فـي السـماء، بمقلـة سـريعة الأقـذاء، ولقيـت الوفـاء، غيـر اللَّفـاء، وخوِّلـت حتـى مـن التـبن والحلفـاء، فإنـه يسـبِّد ريشـك، ويبـرِّد عشوشـك، فـانهض فقـد لقيـت مَعْمَـراً، ومـا شـئت مَنْقَـراً ومَصْـفراً، ورعيْـت ريفـاً، ونزلـت بحـراً وريفـاً "[٤٨]. والقـارئ لهـذا الكـلام المتتبـع لمعانيـه ينتقـل ذهنـه مـن صـورة إلـى أخـرى، كمـا أن الكاتـب زاد الصـور بأوصـافه التـي يعـددها فقولـه: ((وعُوفيـتَ مـن كـلِّ حيـةٍ صـفراء، ترنـو إلـى الطـائر فـي السـماء، بمقلـة سـريعة الأقـذاء)) فالـدعاء بالسـلامة مـن الحيـة أعقبـه وصـف لهـا ممـا يوسـع الصـورة الأدبيـة ويشـبع خيـال المتلقـي، وكـذا يفعـل فـي كـل معنـى جديـد يشـكل لونـا فـي لوحتـه الكاملـة كأنـه وهـو يصـور لوحتـه لا ينسـى أن يركـز علـى كـل لـون وجزء منفردا في صور وصفية واضحة.

وللأعمـى التُّطِيلِـيِّ رسـالة عتـاب هـي عاطفـة صـادقة شـكلت ألـوان كلماتـه ومبـان عباراتـه، يقـول: "شـاكرك أو شـاكيك، مـن لا يحمـد ولا يـذم الأيـام فيـك؛ يـا سـيدي - كنايـة عـن ذكـره، لا توخيـا لبـرِّه، وإحيـاءَ رغبـةٍ فـي إنصـافه، لا طمعـا فـي اسـتعطافه"[٤٩]. وأتوقـف عنـد هـذه البدايـة الرائعـة التـي تحـدد بوضـوح العاطفـة التـي انطلـق منهـا التطيلـي، فهـو يعاتـب منطلقـا مـن رغبـة فـي اسـتبقاء الـود غيـر نـاس أيـام الصـفاء، ولا متناسـيا مـا حـل مـن جفـاء، فالجفـاء حـداه ليكنـي ذكـر مـن يعاتبـه، والـود جعـل تكنيتـه بـ (سـيدي) لا طمعـا فـي اسـتعطاف أو عطـاء، بـل (إحيـاء) لمـا ذبـل مـن أوراق شـجرة الـود بمـاء الإنصـاف العـذب، فأبـان باسـتعماله (سـيدي) ومـا أعقبهـا مـن عـن عاطفتـه الممتزجـة برجاحـة عقلـه والتـي أبـداها خـط يراعـه. والرسـالة بعـد ذلـك مليئـة بمـا يؤكـد هـذا المعنـى فمـثلا يقـول: ((عاطيتـه كـأس الـوداد فأمرَّهـا وزفَفْـتُ إليـه بنـت الفـؤاد فأضـرَّ بهـا وأضـرَّها)) فجعـل الـوداد شـرابا سـائغا بـين المحبـين المتـآخين، إضـافة لمـا فـي الفعـل (عاطيتـه) مـن المشـاركة والألفـة بـين الصـديقين، وجعـل المحبـة عروسا زفت إلى خله وأنيسه.

ويقـول مـذكِّرا أن النعمـة سـريعة الـزوال: ((إنمـا هـو ظـل غمامـة ومبـيض حمامـة ثـم تعـود إلـى اسـتحلاس البيـت وأكـل الخبـز بالزيـت)). لقـد أجـاد التطيلـي إظهـار المعـاني

---

(٤٦) السابق ١/٢٠٥.

(٤٧) الذخيرة ٣/٤٧١.

(٤٨) الذخيرة ٢/٧٥٩.

(٤٩) السابق ٢/٧٢٩ والرسالة في هذه الصفحة والتي تليها.

في صور جميلة مرة يذكر باستبقاء الود ومرة يلوم ويعاتب في استغناء، وبين الاستغناء والاستبقاء أدار رقعته باقتدار واختياره كلمة (استحلاس) والحِلْس هو ما يفرش تحت كريم المتاع في البيت، فهذا يدل على أنه لن يجد ما يفترشه إلا أقل المتاع فما أسرع زوال ظل غمامة، وما أضيق مكان وضع بيض حمامة حتى تتحول النعمة ولا يبقى إلا ود الأصدقاء الصادقين أنفع في الحالتين.

ومن بديع التصوير ما يُلْحَظُ في رسالة لإبراهيم بن خفاجة وهو يصف متنزَّهًا فأبدع في التلوين والتشكيل والرسم بالكلمات، حركته عاطفة بَهِجَةٌ فتداخلت الألوان التصويرية، من ذلك قوله: "ولما أكبَّ الغمامُ إكبابًا، لم أجد معه إغبابًا، واتَّصل المطرُ اتصالا، لم أُلْفِ معه انفصالًا، أَذِنَ اللهُ تعالى للصحوِ أنْ يُطْلِعَ صفحتَه، ويَنْشُرَ صحيفتَه، فقَشَعَتِ الريحُ السحابَ، كما طوَى السِّجِلُّ الكتابَ، وطَفِقَتِ السماءُ تخلع جلبابَها، والشمس تحطُّ نقابها، وتطلَّعت الدنيا تبتهجُ كأنَّها عروسٌ تجلَّتْ، وقد تحلَّتْ، ذهبْتُ في لُمَّةٍ من الإخوان نَسْتَبِقُ إلى الراحة ركضًا، ونطوِي للتَّفَرُّج أرضًا ونَنْشُرُ أرضًا"[٥٠]. وهذه الأريحية في بدء الرسالة نَتَجَتْ عن عاطفة مبتهجة وانشراح لرحلة بين الروض، فالمطر تتابع في الهطول إلى أن أذن الله للصحو أن يطلع، وجعل الكاتب صفحة المطر مطوية وصفحة الصحو منشورة كما تقلب صفحات الكتاب، صحب ذلك خلع السماء جلباب الغيم، وسفور الشمس بعد أن حطت نقابها، وكأن الدنيا عروس في أبهى زينة، وهي صور متقاربة ومتصلة ومتعاضدة.

الموضوعات في الرسائل:

تعددت الموضوعات التي وردت في الرسائل التي كونت مادة هذه الدراسة، والموضوعات في الرسائل الشخصية تكون ذاتية نابعة من ذات الأديب، وبعضها تلتزم موضوعا واحدا أو هذا ما وصل منها، وبعضها تتعد فيه موضوعات الرسالة الواحدة.

رسائل أحادية الموضوع:

وتكون غالبا مقطوعات وردت صغيرة أحادية الموضوع، ومنها قطعة لابن شهيد عن التقوى فيها خشوع وحسن تمثل واستشهاد[٥١].

وفي رسالة لابن برد خاطب بها الوزير بن جهور وصف تفضيله الورود، ومع ذلك القطعة فيها تجسيد، فالحديث جرى على ألسنة الورود والأزهار في موضوع واحد[٥٢].

ولأبي محمد بن عبد البر[٥٣] قطعتان في البدء بالصداقة، وفيهما مبرر عاطفي محض. احتوى بعض الحكمة الباعثة، منها قوله: ((فالفضائل حيث كانت مرغوبة محبوبة، والهمم نحوها جانحة طامحة، والأهواء بها كلفة، ولها مكتنفة)).

وله مدح لكتاب ورد إليه به معان جميلة[٥٤].

ولابن الدباغ[٥٥] رسائل في الشكوى يحسن فيها ويجيد، وقد غلبته الشكوى في

---

(٥٠) الذخيرة ٣/٥٤٣.

(٥١) الذخيرة ١/٢٢٦.

(٥٢) الذخيرة ٢/١٢٧. ومثلها رسالة أبي الفضل حسداي على لسان النرجس ٣/٤٧٠.

(٥٣) ينظر الذخيرة ٣/١٩١-١٩٢.

(٥٤) ينظر الذخيرة ٣/١٩٥. وبعدها ص ١٩٦ قطعة في الصداقة جيدة. وفي ص ٢١٩ تعزية حارَّة.

رسائله مما يوحي بالحالة النفسية التي تسيطر عليه جراء ما توحي به سيرته، والشكوى المقترنة بالإحساس بالظلم، يقول في إحدى رسائله: "وليت شعري أتُنْجِزُ الأيامُ موعودا، أو تدني من الأمل بعيدا فترضِي بما أسخطَتْ، وتعتذر بما أذنبت، وتنسي مضضَ شدَّتها بليَّان، وتمحو أثر إساءتها بإحسان؟ ما تحدثني بذلك نفسي، ولا إخال أن زماني يذعن بإسماح، ولا يزال مستمرَّ الجماح، وما الحيلة إن أبى سوى التعلل بالمنى، والاستراحة بلعل وعسى؟ وبودي لو ملكت عن هذه الشكوى لساني، وأمسكتُ في البوح بها من عناني، وأخذت نفسي بأنَّاتها، وأنظرت الأقدار إلى أوقاتها، حتى لا أسوءَ ولا أَنْكَدَ، بما أوردُ منها وأردِّدُ، ولكني والله مغلوب بالاضطرار، معدول عن وجه الاختيار"(٥٦). فالشكوى مرُّة مكررة، والقلب معتصَرٌ من الألم، والزمان معاتَب غير مستعتِب، والضعف بادٍ وغلب الشاعرَ على الإمساك عن الإفصاح.

ولأبي بكر عبد العزيز قطعة جميلة على لسان من استعفى من ابنه إلى السلطان يشعر القارئ أنه كتبها بعاطفة أبٍ(٥٧). وله أيضا اعتذار لبق على لسان شخص فرَّ من الأمير، والحق أن أبا بكر يجيد تمثل عاطفة الآخرين، فيمزجها ويمتزج بها ويتلبسها، فتظهر عاطفته من ثنايا كلماته وإن كان يتحدث على لسان غيره، يقول: " الأمير - أيده الله - حُرِّكَ إلى ظلمي فسكنَ، وجاءه عني فاسق بنبأ فأخذ بأدب الله تعالى وتبيَّنَ، وأنا رِعْتُ فارْتَعْتُ، وقرأت قوله تعالى: {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ} [الشعراء: ٢١] فاتَّبَعْتُ، وبحقٍّ نُفِّرْتُ فنَفَرْتُ، وأوعدني أبو قابوس ففررْت:

ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ"(٥٨).

رسائل متعددة المواضيع:

منها رسالة لابن شهيد يرد بها على خطاب ورده بدأها بوصف طويل لقدوم الكتاب عليه وقد تعرضت لذلك سابقا إلا أن ابن شهيد تظهر عاطفة الانشراح لقبول الخطاب عليه ومن ذلك قوله: "وكان أول تحيتي له أن قبَّلْتُه ووضعتُه على راسي، وحَبَسْتُ عليه أنفاسي، ثم فَضَضْتُ ختمَه، واسترقْتُ شمَّه، ففتقَ عليَّ نسيمَ العبير لُخْلِخَ به صدورُ الحُور، وأهدى إليّ عبَقَ الياسمين، ذُرَّ عليه مسك دَارِين، فأنعمتُ في نشرِ طَيِّه، وضربْتُ في مَدْرَجِ لَيِّه، فإذا ببناتٍ من البِرِّ مسلِّمةٌ عليّ، وثغورٍ من الإكرام ضاحكةٌ إليّ "(٥٩). وأردفَ هذه التقدمة بأبيات من الشعر فيها وقوف على ديار الأحبة وبكاء في نحو سبعة عشر بيتا، ثم فخر في اثني عسر بيتا، ثم عاد إلى النثر مادحا المؤتمَنَ، ثم بثَّ شكواه عن قرطبة، يقول:" والذي أشكو منه أغرب الغرائب، وأعجب العجائب، بثٌّ شاغل، وبَرْحٌ قاتل، وصبر يغيض، ودمع يفيض،

---

(٥٥) ينظر الذخيرة ٢٥٤/٣ وما بعدها.

(٥٦) الذخيرة ٢٥٤/٣.

(٥٧) ينظر الذخيرة ٧٦٢/٢.

(٥٨) السابق ٧٦٣/٢. والرسائل أو المقطوعات التي وردت في موضوع واحد وفيها ظهور واضح للعاطفة منها رسالة عتاب للأعمى التطيلي ٧٢٩/٢، وبعض رسائل إبراهيم بن خفاجة ٥٤٢/٣، وأبو عبد الرحمن بن طاهر ٢٨/٣، ومن الرسائل التي أنشأها الكاتب على لسان غيره ومنحها من عاطفته رسالة لأبي القاسم محمد بن عبد الله على لسان زائر من زيارة البيت الحرام وقبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ٢٨٦/٢.

(٥٩) الذخيرة ٢٠٤/١.

لعجوز بَخْرَاء، سَهْكةٍ درداء، تدعى قرطبة"[٦٠]. ثم عاد لإنشاد الشعر ودافع بعد ذلك عن طريقته في الشعر وفي مدح المؤتمن. والرسالة على طولها متعددة المواضيع ومتنوعة المادة بين نثر وشعر، وفيها عاطفة قوية خاصة في مقدمتها، وفيها قدر من الإقناع بالرأي.

ولابن شهيد رسالة متنوعة الموضوع فيها عتاب وهجاء، وقد أجاد في استفراغ غضبه في الهجاء مما يجعل القارئ يستشعر قوة هذه العاطفة المتفجرة كالحمم البركانية[٦١].

ومنها رسالة لابن خفاجة يهنئ بها من تولى القضاء ويمدحه في نفس الوقت[٦٢]، وقد أحسن بدايتها.

فن صناعة الرسائل:

يمكن من خلال مطالعة الرسائل الشخصية التي اعتمدت عليها، مع ملاحظة أن بعضها ذكر على أنه فصل لنثر أديب فلربما كان صاحب الذخيرة ناقلا لجزء من الرسالة فقط، ومع ذلك يمكن الخروج ببعض السمات الفنية في هذه الرسائل:

أولا: وردت المقدمة الطويلة عند ابن شهيد[٦٣]، تبعها دخوله للغرض الأساسي للرسالة.

وقد يبتدئ الكاتب رسالته بقوله: (ورد كتابك) أو (أما بعد، يا سيدي...)[٦٤]، و"أنا - وصل الله بهجة سلطانك، ونضرة أوطانك"[٦٥]، ومن ذلك: " أملك أبا الحسن الأحرار، وأمك الكبار"[٦٦]، ومنه:" صلوات الله على خاتم الرسل، وناهج السبل، وناسخ جميع الملل" [٦٧]. مما يشي ببدء الكلام.

وبعض الرسائل المستشهد بها في البحث ليس فيها بداية أو مقدمة أو ما يدل على البدء، بل الدخول إلى الموضوع مباشرة[٦٨].

ثانيا: أما خواتم الرسائل فقد يذكر الكاتب ما يدل على نهاية رسالته، من ذلك قول ابن شهيد: "ولو شئت أن أملأ الصحف وأرقم القراطيس بما جرى عند الملوك ومعهم، وما استعمِل لهم، وتوصل به إليهم، لفعلت، ولكني اقتصرت من ذلك على

---

(٦٠) السابق ٢٠٨/١.

(٦١) السابق ٢١٣/١.

(٦٢) الذخيرة ٥٥٥/٣.

(٦٣) الذخيرة ٢٠٣/١.

(٦٤) ينظر رسالة ابن برد لابن جهور الذخيرة ١٢٧/٢. ومثله رسالة لابن الحداد ٤٠٨/١.

(٦٥) السابق ٧٤٠/٣.

(٦٦) السابق ٧٥٨/٢.

(٦٧) السابق ٢٨٦/٢ .

(٦٨) ينظر رسالة ابن شهيد إلى الوزير ابن عباس الذخيرة ٢١٣/١ وينظر فصل له ٢٢٦/١، وفصلان لأبي محمد بن عبد البر ١٩١/٣-١٩٢، ورسالة ابن طاهر ٢٩/٣، ولكن يبدو أن ابن بسام انتقاها من الرسالة لأصلية للكاتب، وهذا مما ينبغي ملاحظته. يقول الباحث علي بن محمد: "أما ما يتصل برسائل الأدباء الأندلسيين فإن الغالبية العظمى منها تخلو من كل الخطوات التمهيدية، فلا نجد عنوانا، ولا بسملة ولا تحميدا". النثر الأدبي في القرن الخامس ٤٨٤/٢.

قريب مُعْجِبٍ، واكتفيت منه بحديث مطرب"[٦٩]. ومن ذلك قول ابن الدباغ: "ولئن لم أبدأ به فإليه قصدت، وإياه أردت، وقد اكتفيت منه بما أتيت، ووقفت حيث انتهيت"[٧٠]. واختتم محمد بن عبد الواحد رسالته على لسان عائد من زيارة النبي بالدعاء، يقول:" اللهم كما أعنتني على حج بيتك المحرم، وزور نبيك المكرم، فاجعله لي شفيعاً، وتوفني على ملته مطيعاً، ويسر لي كرةً إلى مواطنه المقدسة ورجوعاً، إنك على ذلك قدير، وبحقيقة دعائي عليم خبير، والسلام المردد والمؤكد على نبي الرضوان، وصفي الرحمن، ما تعاقب الملوان، وتناوب العصران"[٧١].

واختتم أبو بكر بن عبد العزيز في وصف الزرزور بقوله: "وأقرئك سلاماً ينسي سلام حبيبٍ على الحسن بن وهب والعراق"[٧٢]. وأنهى أبو محمد بن عبد البر رسالة له في التعزية بالدعاء للمرسل إليه: "أوزعني الله شكرك، ومد في عمرك، وأعقبك زيادة العدد، وجمع لك بين سعادة اليوم والغد"[٧٣]. وقد لا يوجد ذلك[٧٤].

ثالثاً: وفي الرسائل تضمين واقتباسات من القرآن والشعر، ومصطلحات العلوم، ونثر للشعر. يقول إبراهيم بن خفاجة:" وأنت بمجدك جماع أبواب الظرف، تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف، ودرس حروف العطف، وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عَنْبِكَ، وتوجب بعد النفي ما سلف من عتباك، وتدع ألف الألفَةِ أن تكون بعد من حروف اللين، وترفع للإضافة بيننا وجود التنوين، وتسوم ساكن الود أن يتحرك، ومعتل الإخاء أن يصبح"[٧٥]. ونحو قول ابن شهيد: " وهو واو عمرو فيهم، ونون الجمع المضاف معهم"[٧٦].

ويحلُّ ابن الدباغ بيتا شعريا للمتنبي واصفا حاله شاكيا، يقول: "وأنا كما تدريه غرض للأيام ترميه، ولكني غيرُ شاكٍ من آلامها، لأنَّ قلبي في أغشية من سهامها، فالنصل على مثله يقع، والتألم مع هذه الحال يرتفع"[٧٧]. ويحل أيضا بيتا لإبراهيم بن العباس، يقول: "ولكن المحنة بأوغاد تدق عن المجازاة مقاديرها، والبلية بذباب يحميها من أن تنال مقاذيرها"[٧٨].

ومن الأمثال التي وردت: ((يستنوق الجمل))، و((شنشنة أعرفها من أخزم))، و((ويل للشجي من الخلي))، و((هان على الأملس ما لاقى الدبر))، و((لا ناقة لك ولا جمل)) ((ويبقى الود ما بقي العتاب))، و((ما يوم حليمة بسر))، و((حشفا

---

(٦٩) الذخيرة ١/١١٠.

(٧٠) السابق ٣/٢٥٥.

(٧١) الذخيرة ٢/٢٨٨.

(٧٢) السابق ٢/٧٦١.

(٧٣) السابق ٣/٢٢١.

(٧٤) ينظر نهاية رسالة ابن شهيد إلى الوزير ابن عباس ١/٢١٨. وكذلك رسالة ابن برد ٢/١٣٠. وينظر النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس ٢/٤٩٥.

(٧٥) نفسه ٣/٥٤٧.

(٧٦) الذخيرة ١/٤١٠.

(٧٧) السابق ٣/٢٥٦.

(٧٨) السابق ٣/٢٦٠.

وسوء كيلة))، و((سبق السيف العذل)) وغيرها.

ومن الشعر المستشهد به:

ولـــو تـــرك النـــاس الملـــوك		ولكـــن أولاد الزِّنـــاء كثيـــر

ومنه قول عمرو بن العاص:

فـــإن تعطنـــي مصـــرا فـــأربح		أخـذتَ بهـا شـيخا يضـرُّ وينفـعُ

ومنه قول الخنساء:

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي		علـــى إخـــوانهم لقتلـــت نفســـي

وقول الشاعر:

إذا أنـت لـم تعـص الهـوى قـادك		إلـى بعـض مـا فيـه عليـك مقـال

وقول الآخر:

أوردهـــا ســـعد وســـعد مشـــتمل		مـــا هكـــذا يـــا ســـعد نـــورد الإبـــل

أمـا القـرآن، فقـد استشـهد ابـن شـهيد فـي فصـل لـه عـن التقـوى بالعديـد مـن الآيـات القرآنيـة[٧٩]، وابـن زيـدون فـي رسـالة عتـاب لـه[٨٠]، وفـي رسـالة اعتـذار لأبـي بكـر بـن عبد العزيز[٨١].

ومـن الاستشـهاد بـالأثر مـا ذكـره أبـو محمـد بـن عبـد البـر بكـلام عـروة بـن الزبيـر وصـبره عنـد فقـد ولـد لـه[٨٢]. ومنـه قـول علـي كـرَّم الله وجهـه: " قيمـة كـل امـرئ مـا يحسن، وقال: المرء مخبوء تحت لسانه "[٨٣].

رابعـا: وكـذلك تنوعـت الرسـائل بـين النثـر والشـعر، فـبعض الرسـائل تضـمنت شـعرا، بـل بعـض الكتـاب جعـل بعـض رسـالته نثـرا وبعضـها شـعرا ، فرسـالة ابـن زيـدون تضمنت شعرا[٨٤]،

خامسـا: تنـوع اسـتعمال البـديع فهنـاك التـزام بالسـجع فـي الفواصـل، سـواء تسـاوت فقـر الفواصـل أم لا، وكـذلك المحسـنات البديعيـة المختلفـة، كـذلك الاسـتعارات والتشـبيهات، والتصوير.

سادسـا: تنوعـت بواعـث العاطفـة فـي الرسـائل، منهـا العتـاب، أو الشـكوى وهمـا باعثـان لعواطـف موجهـة للأصـدقاء، وكـذلك عاطفـة الغضـب فـي الهجـاء، وعاطفـة الرضـا فـي طلـب الصـداقة، ويمكـن للعاطفـة ألا تكـون منبعثـة مـن ذات الأديـب، بـل يسـتطيع الأديـب أن يستحضـر عاطفـةً مـن موقـف لـيس هـو مشـارك فيـه وينفعـل بهـا

---

(٧٩) الذخيرة ١/٢٢٦.

(٨٠) ينظر الذخيرة ١/٤٠٩.

(٨١) ينظر السابق ٢/٧٦٣.

(٨٢) السابق ٣/٢٢٠.

(٨٣) الذخيرة ١/٢٢٦.

(٨٤) ينظر الذخيرة ١/٤٠٨.

ويظهرها في رسالته كما فعل أبو بكر عبد العزيز.

سابعا: ظهر أيضا في الرسائل القدرة على تنويع المعاني، وإبداء الحجج، والإقناع والمبررات المقبولة، وهي من الثروة الفكرية للكاتب، كما اتسمت الرسائل الإخوانية "بالسهولة والوضوح وبالابتعاد عن صعب الألفاظ وغريبها"(٨٥).

ثامنا: تنوعت موضوعات الرسائل الشخصية فمنها المدح والتهنئة والهجاء والشكوى والاستعطاف والشفاعة(٨٦).

يقول الباحث فايز عبد النبي: "ويظهر للباحث من آراء النقاد المتقدمين، ومن نصوص أدب الرسائل في الأندلس أن الكتَّاب الأندلسيين لم يبتدعوا لأنفسهم مذهبا فنيا جديدا في النثر العربي يمكن أن يضاف إلى المذاهب الفنية التي عرفها النثر في المشرق. بل لقد كان الكاتب منهم يجمع في رسالته بين المذاهب الفنية المختلفة، إذ لم يكن يلتزم بأسلوب معين، وإنما كان يعجب بكب ما هو جديد من كل مذهب، ويختار ما يراه مناسبا من كل مذهب فني شاع في عصره أو قبله"(٨٧).

المبحث الثالث: العاطفة وأثرها على البديع.

البديع سواء أكان محسنات معنوية أم لفظية يأتي ليعطي الكلام رونقا وجمالا، ويقوم بوظائف جمالية شكلية وموسيقية، وكذلك يقوم بدوره في الوفاء بالمعاني وإبراز الأفكار، وسأحاول ضرب أمثلة للبديع يكون لها تأثير في أداء المعاني والشكل الجمالي التي تبرز العاطفة، والسجع من السمات المنتشرة في النثر الأندلسي، وهي واضحة في الرسائل التي استندت إليها، وإن خلت رسالة ابن زيدون سالفة الذكر وتحررت منه أحيانا، والسجع يعطي للجمل نغمة تناسب في نهاياتها، واستعماله بلا تكلف يساعد في إبراز المعاني ، ومن الأمثلة الجيدة في ذلك قول محمد بن عبد الواحد في تهنئة بمولود: " إن أحق ما انبسط فيه للتهنئة لسان، وتشرف في ميادين معانيه بيان وبنان، أمل رُجِّيَ فتأبى زماناً، وأُستُدْعِيَ فلوى عناناً، وطاردته المنى فأتعبها حيناً، وغازلته الهمم فأسعرها حنيناً، ثم طلع غير مرتقب، وورد من صحبة المباهج في عسكر لجب، فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال، والدليل على ما وراءه من كواكب الإقبال"(٨٨)، وهذه معان منشرحة وكلمات ملؤها الفرحة في سلاسة ويسر، وهناك توافق في الوزن بين (زمانا-عنانا) إضافة إلى التوافق والجناس الناقص في (حينا-حنينا).

ومن الجناس قول محمد بن عبد الواحد عن النبي الكريم: "مُجْلِي الظُّلْم والظُّلَم"(٨٩)، وهو جناس رائع نوع المعنى في الجملة، وفيه إشارة جميلة خفية لحديث النبي الكريم: ((الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ)) (٩٠)، وفي نفس الرسالة طباق

---

(٨٥) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس ص ٣٤١.

(٨٦) ينظر أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس ص ٢٧٩.

(٨٧) السابق ص ٣١٢، وينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٣٢٠، وكانت هناك سمات للنثر استقرت، فمثلا التزام السجع، وتضمين الشعر والأمثال، والكتابة في موضوعات خاصة بالشعر، وعدم التقيد ببداية افتتاحية خاصة في الكتابة، كانت من سمات نثر القرن الرابع. ينظر النثر الفني في القرن الرابع زكي مبارك ص ١٠٥.

(٨٨) الذخيرة ٢/٢٩٢.

(٨٩) الذخيرة ٢/٢٨٦.

(٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٤٧) باب: الظلم ظلمات يوم القيامة.

(ليلي ونهاري – لإعلاني وإسراري) جاء به ليحصر الأوقات، وكلمات (المشهود-المورود-الممدود-المحمود) في أربع فواصل متتالية.

ومن رسالة لابن خفاجة قال: "واتصل المطر اتصالا لم ألف معه انفصالا"[٩١]، فهذا الطباق أدى دوره في الكشف عن تتابع المطر مع ما يستدعيه ذلك من صورة المطر وتتابعه في الذهن. وفي الرسالة نفسها: "وتطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت وقد تحلت" فجناس التصحيف مع ما فيه من حلاوة الجرس وتناسب الحروف قد أدى معان متنوعة.

ومن الأسلوب الحكيم قول ابن خفاجة: "فيا له كتابا ملئ اكتئابا"[٩٢]، فليس يتوقع أن يملأ الكتاب اكتئابا.

ومن الازدواج قول أبي بكر عبد العزيز: "وأنا رِعتُ فارتعت، وقرأت ... فاتبعت، وبحق نُفِّرْتُ فنَفَرَت، وأوعدني أبو قابوس ففررت"[٩٣]. والجمل القصيرة هنا معبرة، وجاء الازدواج فزادها جمالا، فالكاتب يصف حال رجل خاف على نفسه بعدما استشعر وعيد الأمير له فنفر ولم يستقر، والجمل القصيرة تفيد العجلة كما أنها أدت المطلوب من المعاني.

والبديع يأتي عفوا في الرسائل الشخصية، وذلك لأن العاطفة تغلب جانب الصنعة، ويكون الوفاء بالمعاني أشغل للكاتب من غيره.

---

(٩١) الذخيرة ٣/٥٤٢.

(٩٢) الذخيرة ٣/٥٥٣.

(٩٣) ينظر الذخيرة ٢/٧٦٣.

خاتمة

الرسائل الشخصية أو الإخوانية الأندلسية يتجلى فيها فن صناعة الرسائل الذي كان استقر في الشرق بوجه عام، ويتجلى فيها سمات العاطفة بشكل خاص:

الرسائل محل الدراسة كانت العاطفة الواقفة وراءها محركا أول، فالرسالة الشخصية ذاتية ولها دوافع ذاتية في الأغلب.

تنوعت العواطف بين الأريحية والبهجة كما جاء في وصف المطر أو التهنئة بمولود، أو السرور لصديق نجا من نكبة، أو الغضب على واش آذى بافترائه، أو الشكاية من تقلب حال وتنكر إخوان، وبعض الرسائل اشتملت على عدة بواعث استلزمها دفاع الأديب عن نفسه ورفض الظلم الذي يأكل كبده حزنا، ومعاتبة أصدقائه الذين لم يقفوا بجواره، والغضب على شانئيه الحاقدين عليه مكانته.

بتنوع العواطف الباعثة تنوعت الموضوعات المنتجة، من تهنئة وشكوى وبدء بصداقة، وتفضيل لبعض الأزهار على بعضها البعض.

المعاني وتفريعها، والأفكار وحججها والكلمات واختيارها مع تنوع الأساليب والصور الجميلة جاءت استجابة وترجمة للعواطف المتدفقة مما يؤكد ذاتية الرسالة المبنية على تجربة شعورية شاعرة وملهمة.

ثَبَتُ المراجع

١- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي، ط أولى، دار البشير، الأردن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ط العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.
٣- التذوق الأدبي، د. ماهر شعبان عبد الباري، ط أولى، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤- بلاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف، ط أولى، مطبعة مصر، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
٥- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، د. شوقي ضيف، ط دار المعارف بدون.
٦- الجامع الصحيح، للبخاري، المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.
٧- ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٠م.
٨- ديوان مجنون ليلى، جمع عبد الستار أحمد فراج، ط مكتبة مصر، بدون.
٩- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٠- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١١- صحيح البخاري،
١٢- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د. علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، بدون.
١٣- فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، فيصل حسين طحيمر العلي، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٤- الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف، ط العاشرة، دار المعارف، بدون.
١٥- في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، ط أولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٦- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، بدون.
١٧- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ط الثانية، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٨- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، علي بن محمد، ط أولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
١٩- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ط أولى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.
٢٠- النقد الأدبي، القسم الأول، د. داود سلوم، ط مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	مقدمة	
	الدراسات السابقة	
	تمهيد	
	المبحث الأول: العاطفة وسماتها في الرسائل الشخصية الأندلسية	
	صدق العاطفة	
	قوة العاطفة أو روعتها	
	ثبات العاطفة أو استمرارها	
	تنوع العاطفة أو شمولها	
	المبحث الثاني: العاطفة وأثرها في تشكيل الجمل والصور	
	الكلمات والأساليب	
	العاطفة والمعنى	
	الصورة الأدبية	
	الموضوعات في الرسائل	
	فن صناعة الرسائل	
	العاطفة وأثرها على البديع	
	خاتمة	
	ثَبَتَ المراجع	
	فهرس الموضوعات	

Passion in personal messages in Andalusia

Ammunition book for Ibn Bassam as a model

By

Dr. Faisal Zaidan Mazied Al Salmy

Assistant Professor, Department of General Subjects, College of Arts and Islamic Sciences

King Abdulaziz University in Jeddah

Abstract:

Research Title/ Emotion in Personal Letters in Al-Andalus: Ammunition Book by Ibn Bassam as an Example
Prepared by/ Dr. Faisal Zidan Mazyad Al-Salami
Assistant Professor in the Department of General Subjects - Faculty of Arts & Humanities - King Abdulaziz University in Jeddah – Kingdom of Saudi Arabia
Emotion is one of the elements of literary work and constitutes its starting point. Emotion clearly emerges when the literary work is subjective, whereas the personal or fraternal letters have such subjectivity since they stem from emotions of love, indignation, anger or desire. The topics expressing these letters are diversified and ranging from friendship and brotherhood, stalking and enmity, felicitation, consolation, complaint, self-defense, or starting friendship, etc..
Studying emotion in these letters is divided into two parts: the first: the measure of addressing emotion of honesty, strength, diversification or stability and eminence; the second: the impact of words, style, figures of speech, and literary imagery on interaction to express author's emotion. Both parts were under study in the fraternal letters in Al-Andalus. The researcher found that emotions inside some distinctive letters were strong, honest, creative and inspiring. Moreover, the artistic reasons that highlights these emotions have been existed in prose letters of high excellence and creativity.

Keywords: Emotion, Letters, Al-Andalus